

الإنسان الشامل في الفلسفة الوجودية عند كارل ياسبرز

شحمي جمال

ماجستير فلسفة، وطالب في السنة الثانية دكتوراه فلسفة بجامعة بوزريعة، الجزائر

مفهوم الإنسان:

«نطرح سؤالاً فلسفياً: ما هو الإنسان؟ إننا نجد علم الفيزيولوجيا يدرسه كجسم وعلم النفس يدرس الإنسان من الجانب الروحي، وعلم الاجتماع يرى الإنسان كائن اجتماعي يقوم بعلاقات اجتماعية، كما أن الإنسان جزء من الطبيعة وله تاريخ»⁽¹⁾ من هنا ندرك أن جميع العلوم المختلفة سواء الطبيعية أو الإنسانية استطاعت أن تحدد الإنسان من زاوية معينة تبعا لطبيعة الدراسة، والغاية منها.

حسب ياسبرز: «فالإنسان يمكننا النظر إليه من جانبين: من حيث هو موضوع للبحث العلمي، ومن حيث هو وجود حرة»⁽²⁾ الإنسان بالمعنى العميق هو الذي يعي ذاته، فوجوده يبرهن عليه أصله وهو الأنا. هذا الأخير هو الوجود الحقيقي للإنسان، إنه الوجود الماهوي، فالإنسان بواسطة الأنا يدرك نفسه.

ومن خلال هذا الأنا ينتزع الإنسان إمكاناته، وعندما ينتقل الإنسان إلى الآنية يصبح وجودا ممكنا، هذه الآنية تعيش وتموت، فهي واقعة تجريبية، أما الوجود الماهوي فهو عبارة عن حرية مستمرة دائما، وهي في علاقة مع العالم ومع العلو.

الإنسان كائنا حيا لكنه لا يشبه الكائنات الحية الأخرى، إنه يشترك معها في الوظائف الحيوية، لكنه فريد من نوعه من حيث أنه يفكر وواعي وحر، إنه يملك كل المقومات التي تجعله متميزا: «إننا واعون بحريتنا عندما نعرف أن كل ضرورة تخصنا... فلا نستطيع بكل صراحة إنكار أي فعل كنا قد اتخذنا فيه القرار بأنفسنا وهنا نحن مسؤولون.»⁽³⁾ من هنا نكتشف أن المسؤولية تحدد مفهوم الإنسان.

إننا نستطيع أن نحدد مفهوم الإنسان على أنه موجود يرجع إلى الله فهناك علاقة ارتباط متين بين الخالق والمخلوق.

فنحن لا نستطيع أن نخرج عن الإرادة الإلهية، إننا دائما نشعر بالانتماء إلى الله، وإرادتنا تنمو وتكبر عندما نفكر في الله سبحانه وتعالى فنزداد طموحا وأمالا وحباً، وتفاؤلاً، فالإنسان يبلغ درجة الإنسانية الحقيقية عندما تتحد إرادته مع إرادة الله، فيعي من هو، وماذا يريد، وماذا ينبغي أن يفعل. «فنحن لم نخلق أنفسنا ولكننا نستطيع اتخاذ القرار بأنفسنا، إن حياة الإنسان الأصيلة هي حرية الانا، فنحن إذن واعون داخل حريتنا لأنها هبة من العلو أي من الله.»⁽⁴⁾ فعندما نقول أن الإنسان يرجع إلى الله، هذا لا يعني أنه

مقيّد وأنه غير مسؤول، فهو يملك الوعي الذي به يعرف ويكتشف الحقائق الكلية والمعاني السامية وهنا الإنسان يحمي نفسه من الجهل، وبالتالي يريد الخير والحق والجمال ويتعدى عن الشر والباطل والقبح، وبهذه الكيفية فإن الإنسان مسؤول.

يعتبر الإنسان جوهر فلسفة كارل ياسبرز حيث جعله موضوع المعرفة والدراسة ومن هنا نجد تحول بالفكر الفلسفي الذي كان يبحث عن المعرفة سواء في الفلسفة القديمة أو الفلسفة الحديثة إلى البحث عن مؤسس المعرفة وهو الإنسان.

لقد درس ياسبرز فلسفة نيتشه ووجد أنها تعطي قيمة كبيرة للإنسان، إنها كانت تتحدث عن الإنسان الأعلى وكانت تبحث عن عوامل ارتقاء الإنسان.

لقد وجد ياسبرز انسجام بين أفكار نيتشه و ما تدعو إليه الفلسفة الوجودية. فالفكر الوجودي يؤكد تجدد الوجود الإنساني فالإنسان ليست له ماهية ثابتة وهنا وجد ياسبرز أن نيتشه يعبر عن هذه الفكرة حيث يقول: «بأن الإنسان في محاولة دائمة لا تعرف الاستقرار فهو لا يرضى بشيء ولا يقف عند حد.»⁽⁵⁾ ويقول أيضا: «الذي يرير الإنسان هي واقعيته.. فالإنسان الواقعي يملك قيما أكثر من الإنسان المثالي»⁽⁶⁾ فالإنسان كائن ناقص، وهذا النقص هو ما يعلي من شأنه أي أنه يسعى دائما نحو التقدم.

فالإنسان عند ياسبرز هو الحقيقة الأساسية التي أستطيع إدراكها في العالم لأنه يتصف بالحضور والقرب والحياة، وفي الإنسان و به يصبح كل ممكن واقعا ولهذا يرى ياسبرز أنه لا يجب إهمال الوجود الإنساني وما يتميز به من خصائص أنه يمثل الحقيقة الجوهرية التي كانت تبحث عنها الفلسفات الكلية القديمة والحديثة، فإذا أهملنا الإنسان معناه أننا نغرق في العدم.

الإنسان الذي يتحدث عنه ياسبرز هو ذلك الإنسان المنفعل المتفاعل مع ما يحيط به من ظروف وحوادث وكذلك ما يفعله اتجاه تلك الظروف والحوادث. أي الإنسان صاحب المواقف والقرارات والإرادة الحرة.

إن الإنسان حسب ياسبرز مختلف تماما عن بقية الكائنات الأخرى أنه ذو طبيعة فريدة من نوعها، فالإنسان هو البهامة لأنه يحمل ألغازا كبيرة وعظيمة.

«فالإنسان حسب ياسبرز هو الأشياء كلها حيث يستشهد بقول أرسطو حينما يقول عن الإنسان بأنه: روح الكل كما يستشهد بإحدى أفكار العصر الوسيط التي تقول: الإنسان ليس ملكا ولا بحيمة ولكنه على بعد متساو من الطرفين، يسهم في كل منهما.»⁽⁷⁾ كما نجد كارل ياسبرز يستشهد بقول الفيلسوف الألماني شيلينغ الذي جمع بين الفلسفة والدين المسيحي حيث قال: «الإنسان أضمر (أخفى) في أعماقه «التأمر مع الخلق» لأنه حاضر وشاهد أصوله.»⁽⁸⁾

إن كارل ياسبرز يحدد الإنسان على أنه «حركة» بمعنى لا يمكن أن يبقى على ما هو إنه في تطور مستمر من جميع النواحي إنه يختلف عن الحيوان فهو لا يكرر ذاته من جيل إلى جيل، إنه يتجاوز الأحوال التي أعطيت له (الطبيعية) من خلال التفاعل الوجودي الذي يتجسد في الإرادة الحرة واتخاذ القرارات وبناء المواقف إنه الكائن الذي يصنع وجوده باستمرار من خلال ما تفعله الذات في مقابل الموضوعات، إنه على علاقة بشيء آخر ومن حيث هو موجود في مواقف واقعية في الحياة والذات الإنسانية تكتمل بمفهوم الإنسان من خلال الاتصال بالموضوعات والأفكار والعلو.

«إن الإنسان حسب ياسبرز هو الذي يقوم بتجربة الزعزعة ويتجه إلى التجاوز»⁽⁹⁾

من هذه العبارة نفهم أن الإنسان يملك إرادة الفعل وصنع الوجود والتفاعل معه فكلمة الزعزعة توحى لنا أنه يفعل بذاته مع المعطيات الموضوعية والمواقف والقرارات.

«فالإنسان مادام إنساناً فإن إمكاناته تظل في الواقع خفية في حريته»⁽¹⁰⁾

إن تحديد مفهوم الإنسان عند كارل ياسبرز استند فيه على بعض الفلاسفة منهم جون بول سارتر وفريدريك نيتشه.

لقد أوضحت فكرة جون بول سارتر عن الإنسان بأنه الموجود لذاته لكارل ياسبرز بأن يحدد مفهومها فلسفياً وجودياً للإنسان، فالوجود لذاته معناه أن الكينونة الإنسانية ليست مكتملة فهي في تكون مستمر ودائم من خلال ما يفعله الإنسان في هذا الوجود، وما يتخذه من قرارات وما ينتج من مواقف تصنع من اللحظات الزمنية التي تتحول فيما بعد إلى محطات تاريخية، من خلالها يفهم الإنسان كيف كان وما هو وضعه الحالي وإلى ماذا يسعى نحو المستقبل، غير أن ياسبرز يزود الإنسان الوجودي بالفكر الذي به يتألق ويجعل منه الكائن الفريد من نوعه فالإنسان حسب ياسبرز عملاق.

إن كارل ياسبرز له مؤلفات كثيرة من أهمها كتابه الذي سماه "نيتشه" سنة 1936م، فمن خلال هذا المؤلف ندرك القيمة التي

أعطاهها ياسبرز لنيتشه الذي ارتكز عليه كثيرا في تحديد مفهوم الإنسان، حيث يعرفه كما يلي: «الإنسان هو الحيوان الذي يتعذر تعريفه»⁽¹¹⁾

لأن الحيوان حسب نيتشه له سلوك آلي في التفاعل مع معطيات الواقع، فهو يكرر ما تعود عليه فقط ولا يستطيع أن يبدع سلوكات جديدة ويتطور، وبالتالي التقدم وبلوغ أعلى المراتب في هذا الوجود. على العكس من ذلك فالإنسان لا يستطيع أن يكون ذاته فهنا سوف يضيع وسط تقلبات وتغيرات الواقع الوجودي، وبالتالي يصل إلى طريق مسدود. وهنا يجب على الإنسان أن يصبح ذاته، ومعنى كلمة يصبح ذاته أن لا يجري سلوكه حسب اتجاه ثابت وإنما يجب أن يتفاعل مع كل ما يحيط به، لأن الإنسان يملك مقومات التفاعل الوجودي التي تسمح له بامتلاك الإرادة واتخاذ المواقف وصنع القرارات الحاسمة التي تحدد له مسار حياته، سواء مع ذاته أو مع الآخرين ومع العلو، أي الارتقاء أكثر نحو عالم يليق بمرتبة الإنسان الواعي والمدرّك.

هذا يعني أن الإنسان حسب نيتشه كائن ناقص يسعى دائما إلى إكمال ذاته وهذا النقص هو مصدر حريته وهو الذي يمكنه من تحديد ذاته وصنعها باستمرار.

إذن هذه الأفكار التي وجدها ياسبرز عند نيتشه عن الإنسان ارتكز عليها وجعلها نقطة انطلاق أساسية وجوهرية في تحديد معنى الإنسان.

فالإنسان في نظر ياسبرز هو ذلك الكائن الذي يتكلم في مقابل صمت الطبيعة وهو الذي يبادر ويغير ويعطي للأشياء قيمة. يقول ياسبرز: «إننا نعطي أنفسنا الشعور بأننا نور العالم هذا النور الذي تتضح به الأشياء لأنها مدركة بفكرنا وبعلاماتنا معها»⁽¹²⁾

إذن من خلال تلك القراءات الفلسفية التي قام بها كارل ياسبرز للكثير من الفلاسفة الذين تحدثوا عن الإنسان وأعطوا له مفهوما. استطاع أن يكون نظرة فلسفية وجودية عن الإنسان، لا تختلف عن تلك التصورات السابقة، ولكن لها خصوصية تنكشف من خلالها لمسة ياسبرز في تحديد ما هو الإنسان؟ إنه يعطي لهذا الإنسان أبعادا مختلفة تعبر عن كيانه وجوهه وتفرد في هذا الوجود من حيث التكوين الطبيعي، وما يملكه من وعي وتفكير وانفعالات وتدين وما يصنعه من مواقف، وما يتخذه من قرارات حاسمة في اللحظة الراهنة، لتتحول تلك اللحظة إلى محطة تاريخية تحرك الفعل الإنساني على شكل تجربة وجودية في الزمن الحاضر والتطلع نحو المستقبل.

إن الإنسان الحقيقي هو الذي يتميز بفكر سليم يسمح له بتقدير الأمور تقديرا عقلانيا، وإنشاء علاقة إيجابية مع ما يحيط به من

وقائع، تجعله يشعر بالمسؤولية في كل ما يقدم عليه من فعل يجسد التجربة الوجودية، ويعبر عن الكينونة الحقيقية للإنسان. يقول ياسبرز: «إن تدخل التفكير في المسؤولية التي يضطلع بها المرء حيال نتائج أعماله والطريقة التي يصبح بها الشعور بالمسؤوليات هو ذاته شعورا أخلاقيا»⁽¹³⁾

من هنا نكتشف تعمق ياسبرز أكثر في تحديد مفهوم الإنسان، من حيث أنه أخلاقي صاحب قيم عالية ورفيعة تكسبه التميز والتفرد في سلم الكائنات وجميع الموجودات، وتكسبه الاحترام والطمأنينة والسعادة والتمتع بالسلام، ولهذا نجد في الكثير من الكتابات الفلسفية يستخدم كلمة "العظمة"، حيث يضيفها على الفلسفة باعتبارها رسالة نبيلة في الحياة، نظرا لما تقدمه من حلول لمختلف المشكلات والإشكاليات، ويضيفها كذلك على الإنسان باعتباره الكائن الذي يصنع الحياة ويحدد معالمها، وهذا من خلال مختلف الميادين التي يتفاعل معها كالعلم والفلسفة والسياسة، الدين، وفي كل ميدان من هذه الميادين المذكورة يبرز لنا الفعل الأخلاقي للإنسان كإبداع نظريات علمية تسمح له بفهم الكون وفهم طبيعته المادية والابتعاد عن التفكير العلمي المدمر للكون كما حدث مع القنبلة الذرية أثناء الحرب العالمية الثانية، وإبداع كذلك أفكار فلسفية تنير العقول البشرية وتوجهها نحو التفاعل الإيجابي مع الوجود، إضافة إلى هذا فإن الإنسان العظيم عند ياسبرز هو ذلك السياسي الحاكم: «الذي لا يرضى بهدم المجتمع القومي بأعماله الرذيلة، انه يعمل ويربي مواطنيه وهو لا يستمر في الحكم مهما كلف الأمر إذا منعه وجدانه سياسيا وأخلاقيا عن الإضطلاع بمسؤولية ما يضاد مصلحة شعبه وكرامته»⁽¹⁴⁾

إن الإنسان الحقيقي والعظيم في مجال السياسة هو الذي يستطيع أن يعي أنه مسؤول عن الحرية التي تمثل قمة الوجود الإنساني، وأكثر من ذلك فبالحرية يستطيع الإنسان أن يعي ويدرك وجوده بصورة واضحة وهنا يبرز لنا ياسبرز خصوصية الإنسان الحقيقي في الفعل السياسي حيث يتجاوز العنف بالحوار ونبذ الطغيان، لأن العلاقة السياسية هي علاقة إنسان بإنسان وليس سيذا بعبد وبهذه الكيفية ترتفع مرتبة الإنسان في الوجود وهنا يظهر التفرد والتميز.

إن عظمة الإنسان حسب ياسبرز تتجلى في الإيمان الذي به يدرك الحقائق الكلية المجردة كوجود الله. هذه الحقيقة تعتبر الفكرة الجوهرية في الفلسفة الوجودية عند ياسبرز لأن إدراك الله بالنسبة للإنسان يمثل له بلوغ مرتبة سامية في سلم الموجودات والكائنات. والإيمان عند ياسبرز يعني على خمس: «وجود الله، مطلب المطلق، فناء الإنسان ونقصه، الالتزام بطاعة الأوامر، فناء العالم»⁽¹⁵⁾ ونحن نبرز

فكرة الإيمان في فلسفة ياسبرز لأنها مسألة جوهرية في حياة الإنسان الناقص لكي يقترب من المطلق والكمال الإلهي، وبهذه الكيفية تتضح صورة الإنسان أكثر فيستطيع أن يدرك ذاته ويدرك الآخرين ويفهم المعطيات المحيطة به ووجوده ككل. فالإنسان يستمد طاقته وإمكاناته من الله، ولما رأى ياسبرز إن الإنسان يحتاج إلى الإيمان في فكره، أصبح من الضروري ربط الدين بالفلسفة، هذا الربط يسمح بتحديد الإنسان وضبط مفهومه بدقة، إنه يسمح لنا بمعرفة علاقته بالوجود وغايته في هذا الوجود.

إننا نجد كذلك ياسبرز يحدد مفهوم الإنسان من خلال علاقته بالتاريخ الذي يصنع فيه المواقف، ويتخذ فيه القرارات الحاسمة، لأن التاريخ يسمح للإنسان خاصة الفيلسوف من الإطلاع على المذاهب والمواقف الفلسفية الإنسانية، وتولد بعضها عن البعض الآخر، وأخذ العبر من تلك الحوادث والاستفادة منها في الحياة الواقعية الوجودية: «إن الشعور التاريخي حسب ياسبرز هو النور الذي يوضح تاريخية الآنية»⁽¹⁶⁾

فالماضي يعبر عن الشعور التاريخي للإنسان الذي له تأثير على الشعور الآني الوجودي، الذي من خلاله تبرز الإرادة الإنسانية كفعل حر، الغاية منه اتخاذ القرار وبناء موقف يعبر عن الكيان الحقيقي للإنسان.

إذن من خلال هذه الميادين الكبرى والمعاني السامية استطاع ياسبرز أن يحدد لنا مفهوم الإنسان، باعتباره محور الوجود والكائن الفريد من نوعه، الذي يتميز بالقدرة على التفكير والتفلسف، ومعايشة الحقيقة كتجربة وجودية وفق منطق فلسفي لا يتميز به إلا الإنسان.

وهنا يجب التذكير أن كارل ياسبرز من خلال تحديده لمفهوم الإنسان استطاع أن يخرج بمفهوم جديد فلسفي وهو مفهوم الإنسان الشامل "L'englobant" والذي سوف نتحدث عنه في المبحث الثاني.

مفهوم الشامل:

إن كارل ياسبرز كان معروفا باللقاء المحاضرات الفلسفية في الجامعة. يتحدث فيها عن الفلسفة ومناهجها ودورها في الحياة الإنسانية كتجربة وجودية كما كان يتحدث عن المذاهب الفلسفية المختلفة.

من بين المواضيع الفلسفية التي أثارها ياسبرز وتعتبر كمفاهيم جديدة في الفلسفة الوجودية نجد مفهوم الإنسان الشامل.

هذا المفهوم الذي تحدث عنه لأول مرة في محاضرات ألقاها سنة 1925م في جامعة جروننج هولندا.

يقصد ياسبرز بالشامل: «بأن الحقيقة ليست من جانب الذات وحدها كما ظن المثاليون التقليديون، كما أنها ليست من جانب الموضوع وحده كما ظن الواقعيون. بل هي وحدة الذات والموضوع في الشامل»⁽¹⁷⁾

فالإنسان هو الشامل وهو الذي يمثل الحقيقة حيث يشمل هذا الإنسان على الطبيعة والتاريخ. من حيث أننا (الإنسان) كائنات حية مؤلفة من مادة تنتمي إلى الطبيعة ومن حيث أننا كائنات مفكرة تنتمي إلى التاريخ.

من هنا نكتشف الطبيعة الفريدة من نوعها للإنسان من حيث أنه يملك التناوب بين الأقوال (التعبير) والإجابات وهذا نظرا لامتلاكه الشعور الذي به يتفاعل مع التاريخ ومع الطبيعة والوجود.

إن الإنسان الشامل يجسد لنا الحركة الشعور الواعية المتفاعلة مع اللحظات التاريخية إنه تجسيد للوعي التاريخي الذي هو عبارة عن: «شعور تملكه الأنا عن حقيقتها الوجودية في مظاهرها المتباينة»⁽¹⁸⁾

وهنا نجد كارل ياسبرز يؤكد على: «أن الشعور التاريخي بالوجود شخصي من خلاله يدرك الإنسان نفسه بأنه على صلة وممتد ضمن سلسلة من الأشخاص التاريخيين»⁽¹⁹⁾. فالتاريخ ليس له قيمة ومعنى في حياتنا إلا عندما نشعر به ونشعر بمن صنعوه والمواقف التي أسسها العظماء من الناس «وهكذا يكون الشعور التاريخي هو الضوء الذي ينير تاريخية الآنية»⁽²⁰⁾

إن كارل ياسبرز يتحدث كثيرا في كتاباته الفلسفية عن عظمة الفلسفة، ويتحدث عن من صنعوا تلك العظمة، إنهم فلاسفة كبار تميزوا بفكر إنساني منسجم يتعد عن المذهبية وينطلق من الحياة الواقعية المعبرة عن التجربة الشخصية المنفعلة مع المعطيات الوجودية.

إن شمولية الإنسان تبرز من خلال الوعي والشعور بما قدمه هؤلاء الفلاسفة العظام وما فعلوه من سلوكات مع الآخرين والمواقف التي أسسوها في حياتهم فكانت نقطة تحول في مسار الحياة البشرية جمعاء. وهنا يؤكد ياسبرز على دور الوعي والشعور التاريخي وليس التأريخ للشخصيات، فهناك فرق بين المصطلحين.

إن الشعور التاريخي هو عبارة عن كشف للوجود الإنساني والتفاعل معه في اللحظة الوجودية الراهنة. إنه إذن الاتصال بالأفراد العظماء ولهذا نجد ياسبرز يتحدث كثيرا عن سقراط وبوذا-كونفوشيوس- يسوع كفلاسفة حققوا الإنسان الأعظم والشامل. وهناك فلاسفة آخرون هم: أفلاطون- القديس أغسطين- كانط الذين أسسوا الفلسفة ورفعوا من قيمتها كمنهج فكري وعقلي يساعد الإنسان على التأمل وإدراك الحقائق وبالتالي بواسطة هذه

الفلسفة يبلغ الإنسان مرتبة عليا يتفوق بها عن سائر الموجودات، ويحقق فكرة الشامل التي هي كما ذكرنا وحدة الذات والموضوع أي تفاعل الفكر مع مقتضيات الوجود. يقول ياسبرز: «أفلاطون يمثل قيمة الفكر اليوناني القديس أغسطين الذي قدم الفكر المسيحي في أصوله وكانط هو ذروة وقاعدة الفلسفة الحديثة»⁽²¹⁾

إن تحقيق فكرة الإنسان الشامل عند ياسبرز مرتبط بأنسنة التاريخ الإنساني من خلال إبراز الإنسان لذاته (الأنا) في إدراك الذات الماضية والشعور بها. لأنها تستمد منها إرادة التفاعل مع الوجود الحالي والتطلع نحو المستقبل. وهنا يستخدم ياسبرز كلمة "نداء" حيث الأسلاف ينادوننا ونحن نستجيب لهم بالشعور والوعي، وكأننا نلف أنفسنا في "بيتنا".

فالتاريخ وجود وهو ذاكرة حية تصل الأمس بالغد في لحظة سمردية وهي لحظة العمل الحاضر والالتزام بالمسؤولية فلا بد على الإنسان حسب ياسبرز أن يكون مدركا وواعيا بواقع البشرية ومطلعا على المشكلات الحضارية من خلال الوعي التاريخي بالأفراد والشعوب والاتصال بهم.

إننا إذن نتأمل التاريخ حسب ياسبرز من أجل الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا، مسؤولية تحمل وزر أسلافنا. فنحن «لا نستطيع التملص من أصلنا»⁽²²⁾. فيجب إذن أن نعي ماضيها حتى ولو كان مؤلما، لكنه يفتح أمامنا الأبواب للشعور بالمسؤولية وممارسة التجربة الوجودية المملوءة بالقلق بفعل المواقف النهائية التي تؤثر في وعي الإنسان وشعوره. وهي: خيبة الأمل- الموت- الذنب. هذه المواقف تجعل الوجود هشاً حسب ياسبرز لأن التاريخ هو مرآة نرى فيها ما يجاوز الحاضر الضيق.

إذا لم نعي ونشعر بتاريخنا قد نفقد خصوصية الفكر الإنساني القائم على الوعي والتذكر، وكذلك التاريخ إذا لم نشعر به فقد يفاجئنا كحالة شعورية على غير قصد منا فتصدم الذات ويصيبها الفزع فيضطرب الوعي (الفكر) وبالتالي لا يعرف الإنسان ماذا يفعل؟

إن ارتباطنا بالتاريخ حسب ياسبرز ليس معناه أننا مقيدون لأننا بالتاريخ نعي اللحظة الراهنة ونتطلع نحو المستقبل وهنا تبرز الحرية الإنسانية.

إن الإنسان حسب ياسبرز يستجيب للحضارات السابقة التي عرفها التاريخ «مصر- الهند- إيران- فلسطين- اليونان. فمن خلال هذه الحضارات التاريخية طرحت المسائل الدينية والفلسفية الكبرى وظهرت الأجوبة التي ما تزال تفرض نفسها علينا.»⁽²³⁾

وهنا نشعر بأننا مرغمون على الوعي بمنزلتنا الفريدة في التاريخ. أي أن الماضي ينادينا وما علينا إلا أن نستجيب بالوعي.

إن الشعور التاريخي حسب ياسبرز رغم أنه ضروري ولا بد منه لكي نستجيب لنداء الأسلاف وهذه مسؤولية ملقاة على عاتقنا. لكن الإنسان لا يمكنه أن يبقى أسير الشعور التاريخي فهو يجب أن يجد مكانا خارج التاريخ، يحيا فيه التاريخ فلم يبقى التاريخ سجننا والا لما عبر الإنسان عن حقيقته الجوهرية وكشامل. بل إن شمولية الإنسان من خلال ما يفعله وما يتخذه من مواقف، فهو اذن يجد نفسه في مواقف عينية واقعية وجودية مرتبطة بالحياة، إنه على صلة بالعالم هذا الأخير يحقق فيه إمكاناته، لأن الإنسان يملك القدرة على إدراك العالم وهنا تبرز "الآنية" فتجد نفسها في قلق مستمر. إنه القلق الوجودي بسبب المواقف النهائية التي تؤثر في وعي الإنسان وشعوره، وهي خيبة الأمل - الموت - الذنب، هذه المواقف تجعل الوجود هشاً حسب ياسبرز والإنسان هو الذي يحقق التماسك الوجودي وانقاضه من تلك المشاشة التي تفقده معناه الحقيقي.

«إذا كان الوجود في الواقع تصدعا في كينونة العالم فإن توضيح الوجود معناه التفتن لهذا التصدع كما نعانیه»⁽²⁴⁾.

إن فكرة الإنسان الشامل تتحقق من الفعل الفلسفي النابع من تعقيد الحياة، و بما يصل الإنسان إلى إدراك ذاته من خلال الممارسة الفلسفية الوجودية الداخلية والتي تنبثق من أعماق الحياة. إن التفاعل مع الموضوعات الخارجية هو في الحقيقة إثارة لذلك الوعي والشعور الداخلي، هذا الأخير يمثل قمة الوجود الإنساني إنه "الأنا".

إن المواقف النهائية المذكورة سابقا: خيبة الأمل - الموت - الذنب، تعبر عن موضوعات جوهرية في عمقها الفلسفي، انها تساهم في تشكل الوجود الماهوي^(*) الذي يظهر في صورة "الآنية" (الوجود العيني المتحقق) وهنا يبرز التفاعل بين الذات والموضوع في الشامل وهو الإنسان، تلك المواقف مفروضة على الموجود ولا يمكنه الإفلات منها، لأنها تلازمه باستمرار فالإنسان لا يستطيع أن يتجنب الموت ولا يمكنه كذلك أن يمتنع عن النضال في هذه الحياة والنضال يستلزم المخاطرة فتنتج ما يسمى بالخطيئة والإخفاق. لأن الإنسان عندما يفعل فإنه يخطئ فقد يحقق ممكنا واحدا من بين الإمكانات المتاحة له لكنه ليس هو مبتغاه وقد يتعدى الإنسان على الآخرين كأن يستولي على حقوقهم أو التوسع على حساب الغير.

تلك اذن مواقف نهائية تزيد من قلق الآنية في العالم.

هنا نكتشف حسب ياسبرز أن: «العالم يجتذب الوجود الماهوي (الشعور) باعتباره الوسيلة لتحقيق إمكاناته ولكنه ينبذه في الوقت نفسه باعتبار عقبة في سبيل سقوطه في الآنية التحريية»⁽²⁵⁾.

من هنا يفسر لنا ياسبرز أن العالم (الواقع التحريي) عندما يجتذب الوجود الماهوي، فإنه يسلب منه "الآنية" فتصبح هذه الأخيرة تمثل الوجود الماهوي في العالم، أو إن صح التعبير يصبح العالم هو "الآنية" وهنا نكتشف حدي الشامل وهما الذات والموضوع. فالذات هي الوجود الماهوي والموضوع هو العالم الذي تتحقق فيه "الآنية"، وهنا يجد الإنسان أن العالم شيء أجنبي عنه. فكلما تصور الإنسان العالم في واقعه الحقيقي شعر أنه غريب فيه. لأن هناك تمايز بين الذات كشعور ووعي وحرية، وبين العالم كموضوع خاضع للضرورة التي تفرضها العلاقات السببية والحتمية، والتي يمكنني فهمها بواسطة العلم. ولما كان العالم يجهل نفسه لأنه "لا شخصي" فأنا كإنسان أستطيع أن أعرفه وأدركه لأنني أنتمي إليه وأشعر وكأنني في بيتي، فهو يناديني لأنني ولدت فيه وعقلي ينمو من خلال قوانينه، وأجد نفسي أميل إليه نظرا للألفة الموجودة بين نفسي (الذات) والعالم (موضوع) فالعالم اذن يناديني وأنا أستجيب له بالاتصال.

اني اتصل بهذا العالم وأفهمه بواسطة العلم والفلسفة فهما أعرف وأكتشف وأبني القوانين والنظريات والمذاهب، لأن العالم يجسد لي المعرفة التي تشبع حاجتي ورغبتني النابعة من حب التأمل وتعقل الأشياء وإعطائها صبغة منطقية عقلية.

لكن الإنسان أصابته خيبة الأمل "Désenchantement"، نظرا لعدم بلوغه ما كان يطمح إليه من جراء تلك الأبحاث العلمية والفلسفية التي انصببت على البحث عن المعرفة، حيث أبعدت هذه الأبحاث تفاعل الإنسان مع الوجود من خلال حصره في الجانب العقلي والعلمي المنطقي، وإبعاده عن التفاعل الوجداني العاطفي مع الوجود، وكأن الإنسان عقل فقط وهنا يؤكد ياسبرز: «أنه يجب أن نتخلى عن فكرة إدراك الوجود عن طريق المعرفة الموضوعية»⁽²⁶⁾

هنا نجد ياسبرز يؤكد أن ثقة الإنسان بالعالم لم تتحطم نتيجة خيبة الأمل التي ولدتها العلوم والفلسفات المختلفة الباحثة عن المعرفة. بل الثقة بقيت مستمرة لأننا ندرك أن هذا العالم هو عالم الفعل والإرادة والتحرر، في هذا العالم تكتشف الذات نفسها، فتنتقل من الوجود الماهوي إلى الآنية المتفاعلة مع العالم هذا الأخير يفقد ثباته الموضوعي ويتغير حسب حالتي الداخلية، بحيث أن العالم لا يمكنه أن يتحدث إلى جميع الناس، بل يتحدث مع من يكون في حالة من الاستعداد الذاتي والنفسي وهنا أكيد سوف نسمع النداء الحقيقي للعالم فتجاوب معه بالتجربة الوجودية المملوءة بالشعور والوجدان والعاطفة، لأن الإنسان ليس عقل فقط، بل هو عقل ومشاعر وجدانية، وهنا يبرز الوجود الحقيقي على أنه ليس موضوعا يتطلب البحث فيه ومعرفته، ومحاولة إدراكه بالفكر فهو جهد

ضائع.»انما الوجود الحقيقي هو الذي يضعني وسط المواقف النهائية
(المواقف الأساسية) التي لا أستطيع الإفلات منها (التاريخ- الموت -
الأم - النضال - الخطيئة»⁽²⁷⁾.

الهوامش:

1. Karl Jaspers : introduction à la philosophie, traduit de l'allemand par jranne hersch, imprimerie saint amand, paris, 1965 , p : 65.
2. Ipid : p : 66.
3. Karl Jaspers : introduction à la philosophie, p : 66
4. Ipid : p : 67.
5. مصطفى غالب : في سبيل موسوعة فلسفية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص: 21
6. Karl Jaspers, neitzsche, traduit de l'allemand par Henri Neil, éditions gallimard, 1950, pp :129.
7. Karl Jaspers : initiation a la méthode philosophique, petite bibliothèque payot, 1^{er} édition, 1964, Paris, pp :42
8. 1-karl jaspers : initiation a la methode philosophique ; p : 42.
9. كارل ياسبرز: عظمة الفلسفة، ص: 21.
10. المرجع نفسه، ص: 22.
11. Karl Jaspers : initiation a la méthode philosophique, pp :44.
12. كارل ياسبرز: نخج الفلسفة، ، ص: 53.
13. Karl Jaspers : initiation a la méthode philosophique, pp :66
14. كارل ياسبرز: نخج الفلسفة، ص: 77.
15. حسن حنفي: قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط1، 1981، ص: 328.
16. عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ص: 637.
17. حسن حنفي: قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر، ص: 326.
18. رجب جوليقي: المذاهب الوجودية، ص: 205.
19. المرجع نفسه : ص: 205.
20. رجب جوليقي: المذاهب الوجودية : ص: 205.
21. Karl Jaspers : les grands philosophes , pp : 11.
22. Karl Jaspers : initiation a la méthode philosophique, pp :19
23. ipid : p : 19.
24. رجب جوليقي: المذاهب الوجودية ، ص: 189.
- *الوجود الماهوي: الشعور الداخلي الميتافيزيقي.
25. رجب جوليقي: المذاهب الوجودية، ص: 185.
26. رجب جوليقي: المذاهب الفلسفية، ص: 187.
27. المرجع نفسه، ص: 187.

